الـــــحـــــــج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد ..

فإن الحج تلك الشعيرة العظيمة من شعائر ديننا العظيم، فرض فرضه الله على عباده إلى بيته العتيق مرة؛ في العمر لقوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الإسلام فقال ((أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إذا استطعت إليه سبيلاً)) ، فمن أنكر فريضة الحج فقد كفر، ومن أقر بها وتركها تهاوناً فهو على خطر، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا من كان عنده جِدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين)، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (استكثروا من الطواف بهذا البيت، قبل أن يحال بينكم وبينه).

إن بيت الله الحرام ، هو منارة التوحيد، بناه إمام الموحدين وأمره الله أن يطهر بيته من الرجس والأوثان ، إن قدر الله لغالب ألا مكان للوثنية والشرك عند بيته المحرم .

وللبيت قصة عجيبة، لقد جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت العتيق ، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هناك ووضع عندهما ماء وتمراً، ثم انطلق إبراهيم، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس ولا شيء، قالت ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم ، قالت: إذا لا يضيعنا. ثم انطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات قال تعالى { رَّبَّنَا إِنَّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم:37]، وجعلت أم إسماعيل ترضع ولدها إسماعيل وتشرب

من ذلك الماء حتى إذا نَفِد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فقامت على الصفا ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحداً ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرّات ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه ، ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه بيدها ، فشربت وأرضعت ، فقال لها الملك: ((لا تخافوا الضيعة ، فإن هذا البيت يبنيه هذا الغلام وأبوه)) رواه البخاري .

ويبني الخليل وابنه البيت، وأمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن في الناس بالحج قال تعالى: {وَأَذّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ عَمِيقٍ} [الحج:27]. فقال إبراهيم: يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذ إليهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، هل الحج اسم لمكان معين؟ وقيل: على الصفا ، وقيل على أبي قبيس . وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجّوه ، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر وقدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة ، لبيك اللهم لبيك .

وقد حث النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه على الحج ورغّب فيه ، وأنه يهدم ما قبله من سيئ العمل ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ابسط يدك فلأبايعك، فبسط، فقبضت يدي ، فقال: ((مالك يا عمرو))؟ قلت: أشترط، قال ((تشترط ماذا)) ، قلت: أن يغفر لي ، قال: ((أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله)) .

فالحاج الذي لم يرفث ولم يفسق يخرج طاهرا نقيا من الذنوب صغيرها وكبيرها.

قال صلى الله عليه وسلم : ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ((تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة)) رواه أحمد وصححه الألباني .

وللحاج دعوة مستجابة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم)) .

الحاج في حفظ الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة في ضمان الله عز وجل: رجل خرج إلى المسجد من مساجد الله ، ورجل خرج غازياً في سبيل الله، ورجل خرج حاجاً)) .

ومما جاء في فضل الحج وأنه منفاة للذنوب ، حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك، يكتب الله بها لك حسنة ، ويمحو عنك بها سيئة وأما وقوفك بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة ، فيقول: هؤلاء عبادي، جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج ، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوباً غسلها الله عنك ، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك ، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة ، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك)) رواه الطبراني وحسنه الألباني .

إن في هذه الأحاديث دعوة ونداء إلى المبادرة بالحج ، وغسل النفس من ذنوبها ، فإن العبد لا يعلم متى موعد رحيله من هذه الدنيا ، والحج أيام معدودات ، من استطاع أن يلبي فيها نداء ربه ثم لم يفعل فهو المحروم ، إن الحج إلى بيت الله الحرام وأجره وفضله ، يحرك الساكن ، ويهيج المشاعر والقلوب التي تطمع في مغفرة علام الغيوب .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .